الخوف في ضوء القرآن الكريم

إعداد
الدكتور مُحَمَّد يوسف الديك
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
جامعة القدس

ملخص البحث:

في هذا البحث الموسوم بـ: "الخوف في القرآن الكريم" تناولت الدراسة الخوف في ضوء التفسير الموضوعي؛ حيث بينت الدراسة: معنى الخوف في معاجم اللغة وفي الدراسات النفسية، والخوف كمصطلح ومفهوم في القرآن الكريم، والخوف في حقيقته هو انفعال جبلي في حدوده الطبيعية، يدفع صاحبه إلى الاستجابة الطبيعية والمناسبة تجاه مصدر الخوف، وفي حالة المغالاة في الاستجابة، فهذا الانفعال ينم عن الذعر والقلق، وسجل القرآن الكريم صورًا متعددة للخوف، على رأسها الخوف من الله -سبحانه وتعالى، والخوف من البشر ومجاملتهم في عاداتهم السيئة، والخوف من الخروج على هذه العادات، مثل: عبادة الأصنام، والركون إلى الملأ وسطوتهم ونفوذهم، وهناك صور من الخوف يقرها الإسلام؛ لأن لها علاقة بالضعف البشري المبرر، مثل الخوف على الذرية أو انقطاع الوريث الذي يحمل اسم العائلة وارث الأبوة، والخشية من الفقر، وفي كل هذه الصور الإنسان محتاج إلى فضل ربه.

والقرآن يقرر أن العلاقات الزوجية ربما يشوبها التوتر والاضطراب، فأرشد الزوج إلى ما فيه الصلاح وحسن الإدارة في البيت، وتتمة وتنوعًا للبحث ذكرت الدراسة نموذجًا حيًّا للخوف يمثل وبشكل مختصر المراحل التي مرّ بها سيدنا موسى -عليه السلام- حيث كان جلها الخوف والترقب.

Abstract :

This study investigates "fear" as tackled in the Holy Qur`an in view of objective interpretation of the Holy Qur`an.

The study shows the meaning of fear as study in language Dictionaries ‘ and psychological studies and as expressed in the holy Qur`an. Fear is in its nature an innate feeling/ emotion pushes the human being to respond naturally and in a suitable way to the source of it.

In case of excessive response ‘this emotion reflect panic an anxiety. The holy Qur`an registers different type of fear ‘mainly fear from Allah and from humans and avoiding contradicting them in their habits ‘lire morshipic idols and reclining to them. There are a number of fear types that are approved by Islam since they are attributed to justified human weakness ‘as being afraid a bout children and from poverty ‘and in all there conditions ‘ man is in need for Allah.

The Holy Qur`an determines that husbands relationships suffer tension and troubles.

There fore ‘the Holy Qur`an leads the husbands to care about the family. For the snake of completion and diversity of research ‘the study states the stage of the prophet mosses which experienced fear.

تمهيد:

نشاهد في حياتنا اليومية المواقف المختلفة، ونسجل بحق للشجعان شجاعتهم، وما خلَّد الأبطال إلا إقدامهم في معارك الوغى، ونفض غبار الذلِّ والهوان والتضحية بالنفس دون الحياة الذليلة، في المقابل إنّ الذين يجبنون وينقادون دون الإرادة الحرة والحياة الكريمة فهؤلاء يركلهم التاريخ وتمقتهم الأجيال، وبين هذين النموذجين لابدّ أن نعترف أن الخوف غريزة في النّفس البشرية، وهذه الغريزة يمكن الحكم على صاحبها من خلال الآثار التي تنعكس على صاحبها، وفي سبيل تحرير هذا المفهوم: "الخوف" في القرآن الكر يم جاءت هذه الدراسة.

أسباب كتابة البحث:

- أولًا: التطبيق العملي للتفسير الموضوعي.
- ثانيًا: تأصيل مفهوم الخوف من الناحية الشرعية.
- ثالثًا: بيان التعامل الأمثل مع هذه الغريزة في حياتنا اليومية.
- رابعًا: عزوف كثير من الناس عن الهدي القرآني والاكتفاء بالدراسات الإنسانية الغربية.

أهمية الموضوع:

- أولًا: تحرير هذا المفهوم والألفاظ المرادفة له.
- ثانيًا: بيان الجانب المحمود والمذموم لهذه الغريزة.
- ثالثًا: تحليل كثير من السلوكات الشخصية على ضوء هذا المفهوم.
- رابعًا: شحذ الهمة وتخطي عقدة الوهم الزائف.
- خامسًا: التأسي بالنماذج القرآنية في التكيف مع هذه الغريزة لاسيما الأنبياء وما واجهوه من صعاب.

- **أهداف البحث:**

- أولًا : المساهمة المتواضعة في رفد الدراسات القرآنية ذات العلاقة بالتفسير الموضوعي.
- ثانيًا: العمل على حل المشكلات الناجمة عن الخوف السلبي في ضوء الهدايات القرآنية.
- ثالثًا: التعرف على أنواع الخوف في القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

لا توجد مشاكل تذكر بقدر ما يتطلبه البحث من سبر المفاهيم القرآنية وحسن ربطها مع الواقع.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاعي وجدت العديد من الدراسات في هذا المجال، ولكنها إما تناولت الموضوع من الناحية البلاغية بالدرجة الأولى، أو للألفاظ المتقاربة للخوف كالخشية، أو جاءت بثانية الخوف والرجاء في القرآن الكريم أو محددة في مجال معين، وأهمها:

١. الخشية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد عبد الله هاشم الحسيني الشريف، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.

٢. دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد خولة توفيق، الجامعة الإسلامية، فلسطين، كلية الآداب، ٢٠٠٩م.

٣. الخوف والرجاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد سهاد تحسين دولة، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٧م.

٤. الخوف في القصص القرآني، رسالة ماجستير، إعداد عبد القادر مُحَمَّد فتحي المطري، إشراف د. حاتم التميمي، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م.

٥. كتاب الخوف والرّجاء، إعداد صفوت عبد الفتاح محمود، ويركز على الموضوع من الناحية الوعظية.

منهجية البحث:

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة البحث فهو منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، والذي يقوم على ما يلي:

– أولًا: حصر الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الخوف من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

– ثانيًا: ملاحظة الألفاظ ذات العلاقة للفظ الخوف في القرآن الكريم.

– ثالثًا: تقسيم الآيات التي تتعلق بكل موضوع رئيس على حدة بحيث تكون مواضيع المباحث كنتيجة لهذه الآيات.

– رابعًا: الرجوع إلى أمهات التفاسير المختلفة.

– خامسًا: الإفادة من المعارف التي تناولت موضوع الخوف.

– سادسًا: الربط مع الواقع ما كان إلى ذلك سبيلًا.

– سابعًا: تخريج الأحاديث الواردة في البحث.

المبحث الأول: معنى الخوف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخوف في معاجم اللغة:

– أولًا: لسان العرب:

"خوف، الخوف: الفزع خافه يخافه خوفًا، وخيفة ومخافةً، وإنّما صارت الواو ألفًا في يخاف؛ لأنّه على بناء عمل يعمُل، فاستثقلوا الواو فألقوها، والنّعت خائف وهو الفزع والأمر منه خف بفتح الخاء، وتخوفت عليه الشيء أي: خفت وتخوفه كخافه، وخوفته: إذا جعلته بحالة يخافه النّاس وخوف الرّجل جعل الناس يخافونه، وفي التنزيل ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] "أي: يجعلكم تخافون أولياءه"[١].

– ثانيًا: مختار الصحاح:

"خاف يخافُ خوفًا وخيفةً ومخافةً فهو خائف، وقوم خوف على الأصل، وخيف على اللفظ والأمر منه خَفْ بفتح الخاء، والخيفة الخوف والإخافة التخويف، يقال: وجع مخيف، أي: يخيف من رآه، وطريقٌ مخوف؛ لأنّه لا يخيف، وإنّما يخيفُ فيه قاطع الطريق، وتخوفت عليه الشيء أي خفت وتخوفه أي: تنقصه، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾ [النحل: ٤٧] ".[٢]

– ثالثًا: أساس البلاغة:

"خوف: خفته على مالي خوفًا وخيفة وتخوفته عليه، وما أخوفني عليك وهذا أمر مخوف، وهرب مخافة الشّر وأدركته المخاوف والقوم وأخافه وخوفه تخوّفه جعله مخوفًا، تقول: ما كنت خائفًا فخوفني فلان، وما كان الطريق مخوفًا فخوفه السبّع أو العدّو وأخاف الطريق والنظر وطريق وثغر مخيف ومن المجاز طريق خائف قال عبيد:

فرّب ماءٍ وردت أجن*** سبيله خائف جديب "[٣]

---

١ ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، بيروت ، دار صادر ،" ط١"، ص٩٢-٩٩.

٢ الرازي، مُحَمَّد بن أبي بكر، مختارالصحاح، ج١، ص٨١، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣ الأيرص، عبيد، ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أحمد عدرة، بيروت، دار الكتاب العربي، "ط٤"، ١٩٩٤، ص ٢٣، والمعنى رب ماء متغير الريح واللون لا يكاد يمر به أحد وردته في أرضه المجدبة وطريقه الوعرة.

"والجميع خواف، الأصمعي فرسٌ أخيف إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء والجميع خواف، وبعيرٌ أخيف".

"الناس أخياف" أي: لا يستوون، و"بعيرٌ أخيف" إذا كان واسع جلد الثِيل، والخيف ما ارتفع من مجرى السيّل، وانحدر عن غلظ الجبل، ومنه قيل مسجد "الخيف"؛ لأنّه بُنيَ في خيف الجبل".[١]

معجم مقاييس اللغة:

"خوف" الخاء والواو والفاء أصل واحد يدلُّ على الذعر والفزع، يقال: خفتُ الشيءُ وخيفةً، والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة، ويقال: خاوفني فلان فخفته، أي: كنت أشدَّ خوفًا منه فأمَّا قولهم تخوّفت الشيء أي تنقصته، فهو الصحيح الفصيح إلا أنّه من الإبدال والأصل الفوت من التنقص".[٢]

المطلب الثاني: الخوف اصطلاحًا:

يقول الراغب الأصفهاني: "الخوفُ توقُّع مكروه عن أمارة" مظنونة أو معلومة، ويتضاد الخوف الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨١] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ ﴾ [النساء: ٣] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ فقد فسّر ذلك بعرفتم، وحقيقته: وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم، والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرّعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنّما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل لا يُعدّ خائفًا مَنْ لم يكن للذنوب تاركًا، والتخويف من الله تعالى هو الحثّ على التحرّز، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾.[٣]

١الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ، ١٩٧٩ج١، ص١٧٧

٢ابن فارس، أبو الحسن، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل ، ط٢١ ،١٤٢٠هـ /١٩٩٩،ج٢، ص٢٣٠

٣الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، ، بيروت، دار الفكر، ص١٦١

أما أبو حامد الغزالي فيقول: "اعلم أنّ الخوف عبارةٌ تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه، وذلك الإحراق هو الخوف، فكذلك من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنّه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا.

وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فتكون قوّة خوفه؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه"[٧]

المطلب الثالث: تعريف الخوف عند علماء النفّس:

الخوف "استجابة غير معقولة وغير طبيعية، وأحيانًا كثيرةً مرضية تجاه شيء معين، أو موقف أو إثارة من نوع معين، التي لا تشكل أي استجابة معقولة في الأحوال الطبيعية وعند النّاس غير المرضى؛ لذلك النوع من الخوف، وتكون الاستجابة بالقلق أو بحالة من الهياج والهلع والذّعر".[١]

"الخوف السوي والخوف الشاذ:

وعلماء النفس يفرقون بين الخوف السوي والخوف الشاذ، والقلق يصيب كل إنسان وهو شيء عادي من حيث انه شائع ويحدث غالبًا لكل الناس، وهو جزء من النسيج اليومي للحياة، في الطرق المزدحمة يجب أن نكون متيقظين باستمرار، مساعد المدير غير الآمن يقلق بشأن وظيفته، والمدير يتردد في اضطراب حول قراراته، وعامل الهاتف يزعجه المتكلمون المهووسون، الارتفاع العالي للأسعار يجعل الزوجة تكافح لكي تجعل ميزانيتها المحدودة تكفي لتغذية أسرتها، والزوجان يتخاصمان، فالقلق هو الانفعال الذي نشعر به عندما نجد أنفسنا محاصرين في ركن ضيق، الشعور بالخطر مرتبط بالشعور بالخوف والانفعالات المماثلة، فإذا كان سبب ما يزعجنا ظاهرًا، فإننا نميل إلى تسمية الانفعال خوفًا فحينما يجابه فرد ما أسدًا

١ http//www.al-jazirah.c جريدة الجزيرة ،الإثنين ،٢١،شعبان ،١٤٢٠هـ، العدد٩٩٢٣ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٩٩م

هاجمًا عليه فنسميه مذعورًا، والشخص الذي يكون مهمومًا بشأن اختبار بسيط سيتم بعد عدة أشهر يسمى قلقًا، يترتب على الخوف والقلق الشديدين شحوب الجلد، العرق، انتصاب الشعر، اتساع بؤبؤ العين، سرعة خفقان القلب، ازدياد تدفق الدم، انقباض الصدر، سرعة التنفس، الغثيان، وارغبة في التبول بسبب انقباض المثانة".[١]

المطلب الرابع: معاني الخوف في القرآن الكريم:

ورد لفظ الخوف في القرآن الكريم على أوجه مختلفة:

– الوجه الأول: يعني: القتل، كقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٨٣]، يعني: القتل والهزيمة، وكقوله سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، يعني القتل.

– الوجه الثاني: الخوف يعني القتال، كما في قوله سبحانه: ﴿رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ﴾ [الأحزاب: ١٩]، يعني القتال.

– الوجه الثالث: الخوف يعني: العلم، كقوله سبحانه: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا ﴾ [البقرة: ١٨٢]، أي: من علم من مَّوص جنفًا، وكقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أي علمتم، وكقوله سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]، يعني علمت من زوجها نشوزًا.

– الوجه الرابع: الخوف يعني: العذاب، مثاله قوله سبحانه: ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

– الوجه الخامس: الخوف يعني: التيقظ، مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ [النحل: ٤٧] يعني: تيقظ.[٢]

---

١ ماركس، ايزاك م، التعايش مع الخوف، تحقيق عبد السلام هارون،دار الشروق، ص ٣٠،٣٢،٣٣،٤٥.

٢ الدامغاني، أبو عبد الله، الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق عربي عبد الحميد، بيروت ، دار الكتب العلمية ،" ط١" ، ٢٠٠٣ص٢٠٠-٢٠١.

نستنتج مما سبق ما يلي:

– أولًا: لفظ الخوف في الأصل يدلُّ على الذّعر والفزع.

– ثانيًا: الخوف في حدود الاعتدال، انفعال طبيعي في الإنسان وله دور وظيفي.

– ثالثًا: الخوف دافعه قرائن مادية أو معنوية يقدرها الإنسان الخائف، وهذا التقدير إما يكون في حدود المعقول ومقنع أو يكون مبالغًا فيه.

– رابعًا: المؤمن له خصوصية الخوف من الله –سبحانه وتعالى– ونتيجة لهذا فهو يترك الحرام ويفعل ما يقربه إلى ربّه –سبحانه وتعالى.

– خامسًا: الخوف ينفي عن الإنسان الغرور ويدفع صاحبه إلى مراجعة ملكياته وتصرفاته أمام ربه، فكأنه لازم من لوازم التقوى.

– سادسًا: هناك فرق بين القلق والخوف فحينما تكون انفعالاتنا بسبب ظاهر فهو الخوف وفي حالة ترقب الخطر يُسمى بالقلق.

– سابعًا: استعمل مصطلح الخوف في القرآن على أوجه مختلفة من المعاني منها: القتل، القتال، العلم، العذاب، التيقظ؛ لذا؛ يجب مراعاة سياق الآي القرآني عند دراسة الآيات ذات العلاقة.

المبحث الثاني: الخوف من الله سبحانه وتعالى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة الخوف من الله سبحانه وتعالى:

الخوف من الله سبحانه وتعالى يقود الإنسان إلى أن يتخذ قراره على روية واضحة فالمقياس هو الإيمان ومفرداته، الحلال والحرام، هل هذا السلوك يرضي الرب سبحانه أم يغضبه؟ ولاشك أنّ هذه المعاني والمفاهيم إذا استقرت في وجدان المؤمن فإنّه يوطدّ نفسه على التضحية بالغالي والنّفيس وإعلان الوحدانية لله سبحانه هو الضامن الأول لترسيخ هذا المفهوم يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

نهى الله –جلّ وعلا– في هذه الآية الكريمة جميع البشر عن أن يعبدوا إلهًا آخر معه وأخبرهم أنّه المعبود المستحق، لأن يُعبد وحده ثم أمرهم أن يرهبوه، أي: يخافونه وحده؛ لأنّه هو الذي بيده الضر والنّفع، لا نافع ولا ضار سواه، ﴿وَإِيَّٰيَ﴾ [البقرة: ٤٠]، للدلالة على الحصر، وقد تقرر في الأصول في مبحث مفهوم المخالفة وفي المعاني في مبحث القصر، أنّ تقديم المعمول من صيغ الحصر، أي: خافوني وحدي ولا تخافوا سواي.

وهذا الحصر المشار إليه بتقديم المعمول بينه –جلّ وعلا– في مواضع أخرى، كقوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]"[١]

١ الشنقيطي، محمّد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق عبد السلام هارون بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ ج٢، ص٣٨٣.

المطلب الثاني: الخوف من لوم البشر:

ربما تخالج النّفس البشرية مجاملة النّاس والأعراف السائدة التي يحتكمون إليها والخروج عن المألوف، والانقضاض على العائدات والتي تصطدم مع رسالة السمّاء تجعل المكلّف في حيرة من أمره، لاسيما إذا كانت الأمور تتعلق بمشاعر النّفس الإنسانية، فهنا يأتي دور الإرادة التي تحسم هذا الاضطراب أو التناقض، فمرضاة الله -سبحانه وتعالى- مقدمة على كل شيء، وهذا المسلك نزلت الآيات القرآنية تنبه الرسول ﷺ مراعاته دون الوجل أو الالتفات إلى أقاويل الناس وأهوائهم، وهذا ما ترجمته قصة زواجه ﷺ من زينب طليقة زيد بن حارثة.

يقول -سبحانه-: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ﴾ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ الأحزاب: ٣٧-٣٩.

يقول سيد قطب -رحمه الله-: "وألهم الله نبيه ﷺ أن زيدًا سيطلق زينب؛ وأنّه هو سيتزوجها، للحكمة التي قضى الله بها، وكانت العلاقات بين زيد وزينب قد اضطربت، وعادت توحي بأن حياتهما لن تستقيم طويلًا، وجاء زيد مرّة بعد مرّة يشكو إلى رسول الله ﷺ اضطراب حياته مع زينب؛ وعدم استطاعته المضي معها والرسول -صلوات الله وسلامه عليه- على شجاعته في مواجهة قومه في أمر العقيدة دون لجلجة ولا خشية -يحس ثقل التبعة فيما ألهمه الله من أمر زينب؛ ويتردد في مواجهة القوم بتحطيم ذلك التقليد العميق؛ فيقول لزيد -الذي أنعم الله عليه بالإسلام وبالقرب من رسوله وبحب الرسول له، ذلك الحب الذي يتقدم به في قلبه على كل أحد بلا استثناء . والذي أنعم عليه الرسول بالعتق والتربية والحب يقول له-: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ويؤخر بهذا مواجهة الأمر العظيم الذي يتردد في الخروج به على الناس. كما قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ﴾ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وهذا الذي تفرد في

إبدائه الرسول ﷺ من أمر الزواج من مطلقة زيد.[١]

عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآية، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات، وعن ثابت: قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا﴾ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة.[٢]

وهناك روايات تذكر أن الرسول ﷺ قد دفع في قلبه حبها وهذه روايات لا تصح؛ "قال القاضي: "وما وراء هذه الرواية التي ذكرت من قبل هي أن الله أوحى إليه أنه سيتزوجها غير معتبر، فأمّا قولهم إنّ النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه باطل، فإنّه معها في كلّ وقت وموضع ولم يكن حينئذ مجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلاّ إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها، وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدد له هوى لم يكن حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة".[٣]

المطلب الثالث: التهديد بالأصنام:

وسيلة التهديد للمخالف في المعتقدات أو الفكر قديمة قدم وجود البشرية بعدما انحرفت عن مسار الفطرة، وهذه من وسائل الضعف البشري؛ حيث لا يقدر صاحبها على مواجهة الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة فيلجأ بالتهديد بالقوة أو أسبابها.

يذكر لنا القرآن الكريم أن قريشًا أخذت تهدد الرسول ﷺ بالأصنام إذا استمر في دعوته حيث سيصيبه أذىً منها، ولكن الله –سبحانه– هو الحافظ لأوليائه ولأنبيائه وهذا هو سر التوحيد؛ حيث يركن المؤمن إلى ركن شديد هو الله –سبحانه وتعالى.

يقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ

١ قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة ، دار الشروق، "ط٨ " ١٩٦٨ ، م٥، ص٢٨٦٨، ٢٨٦٩.

٢ البخاري، مُحَمَّد إسماعيل، الصحيح، تحقيق عبد السلام هارون، باب – وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم– بيروت، دارابن كثير،" ط٣"، ١٤٠٧هـ ، ج٦، ص٢٦٩٩.

٣ ابن العربي، أبو بكر، مُحَمَّد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق مُحَمَّد عبد ، لبنان ، دار الفكر،ج٣، ص٥٧٧.

فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨]، وقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦]، يقول تعالى ذكر لنبيه مُحَمَّد ﷺ ويخوفونك هؤلاء المشركون يا مُحَمَّد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك، عن قتادة ويخوفونك بالذين من دونه الآلهة، قال: "بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسقام ليكسر العزى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها."[٢١]

وهذا الحال من التأييد والنصر غير مقتصر على النبي ﷺ فكل من يحمل هذا الإرث النبوي تكفل الله برعايته وحمايته ويؤيد ذلك النصوص الأخرى الكثيرة التي تثبت ذلك.

والقراءة الأخرى وهي عباده، حيث قرأ حمزة والكسائي (أليس الله بكاف عباده) بالألف وقرأ الباقون "عبده" ذهبوا إلى الخطاب للنبي صلى الله عليه وحجتهم قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: ويخوفونك يا مُحَمَّد فكأن المعنى أليس الله بكافيك وهم يخوفونك من دونه يعني: "الأصنام" وذلك أن قريشًا قالوا للنبي ﷺ : أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها فأنزل الله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ فأخبر ثم خاطبه والمخبر والمخاطب واحد والعرب تخبر ثم ترجع إلى الخطاب.

ومن قرأ (عباده) فالمعنى أليس الله بكاف عباده الأنبياء قبل كما كفى إبراهيم النار ونوحًا الغرق ويونس ما دفع إليه، فهو -سبحانه- كافيك كما كفى هؤلاء الرسل قبلك قال الفراء قد همت أمم الأنبياء بهم، ووعدوهم، مثل هذا فقالوا لهود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ

١ الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ، ج٢٤، ص٦.

٢ وهذا الحديث مقطوع، وهو موقوف على قتادة كما روى ابن جرير وعبد الرزاق، والسيوطي، عزا الرواية في الدر المنثور لعبد بن حميد وابن أبي حاتم، الرياض ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، "ط٢" ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، انظر، السقاف، علوي بن عبد القادر، تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، ج٥، ص٣٠٥٣.

ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤] فقال الله: (أليس الله بكاف عباده) أي محمدًا والأنبياء قبله.[١]

وغريب حال هؤلاء القوم إنهم يقرون بأن الله خالق السماوات والأرض وهو القادر على كل شيء، وهم في حقيقة أمرهم يعلمون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع، فأي تناقض هذا في المعتقد؟!! وهذا السلوك يتكرر في كل عصر حسب مقتضياته، فليس بالضرورة أن يعبد الناس الأصنام، وإنما قلة اليقين بالله وتعلق قلوبهم بالأشخاص أو الجهة الفئوية أو الحزبية يقود أحدهم إلى التنازل عن كبرياء النفس وعنفوانها في سبيل مصالح أو منافع شخصية دون اليقين بوعد الله سبحانه لعباده الصادقين.

المطلب الرابع: الخوف من عذاب الله سبحانه وتعالى:

يسجلّ القرآن الكريم الحالة النفسية للمؤمن اليقظ والذي يربط مشاعره لليوم الآخر وما فيه من "أهوال"؛ ذلك أنّه يحرص على أنّ يكون من الناجين؛ فهو يجتهد في طاعاته، فيقوم الليل وبالرغم من هذا يسأل ربه المغفرة، فهو عن سابق علم يستجيب لهذا السلوك، وفي كل ذلك يطلب الإسلام من المؤمن أن يحرص على أن يختار البيئة الصالحة التي من خلالها يستطيع تحقيق ما يصبو إليه من إخلاص في العبادة وتوحيد للخالق -سبحانه- وينادي مردداً؛ أن الخسارة الحقيقة هي خسارة النفّس والأهل يوم القيامة يقول -سبحانه-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

يقول ابن كثير -رحمه الله-: "استدل بهذه الآية أنّ القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده، كما ذهب إليه آخرون، قال ابن مسعود: القانت المطيع لله -عزَّ وجلَّ-، وآناء الليل هو: جوف الليل أو أوسطه، وذهب البعض إلى اعتبار وقته ما بين المغرب والعشاء، وفي حال عبادته خائف راجٍ ولابُدّ في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدّة الحياة هو الغالب، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الزمر: ٩]، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرّجاء هو الغالب عليه فعن أنس -ﷺ- قال: "دخل

١ ابن زنجلة، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، حجة القراءات، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ج١، ص٦٢٢-٦٢٣.

رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال: أرجو الله يا رسول الله، وإني أخاف ذنوبي: فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلاّ أعطاه الله –عز وجل– ما يرجو وأمنه مما يخاف".[1]

وفي قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥].

سجل صاحب التفسير الكبير فوائد:

– الفائدة الأولى: أن الله أمر محمدًا ﷺ أن يجري هذا الكلام على نفسه، والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي، لأنه مع جلالة قدره وشرف نبوته إذا وجدت أن يكون خائفًا حذرًا عن المعاصي فغيره بذلك أولى.

– الفائدة الثانية: دلّت الآية على أنّ الريب من المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب، وفي مواطن أخرى عديدة في القرآن الكريم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قوله: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ مخبتين أو دائبين الوجل، والمعنى أنّهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال".[2]

١الألباني، محمّد ناصر، صحيح الترغيب والترهيب للمندري، مكتبة المعارف، " ط١" ١٤٢١١هـ ، ص٣٣٨٣، خلاصة حكم المحدث، حسن صحيح، ١٤٢١١هـ.

٢ الرازي، التفسير الكبير، ج٢٦، ص٢٢٣.

المبحث الثالث: الخوف الاجتماعي وفيه مطالب

يسجل القرآن الكريم عددًا من القضايا الاجتماعية، والتي لا تنفك عن حياة الإنسان، وهي مظنة للخوف؛ مثل الخوف على الذرية، الخوف على الموالي، الخوف من الفقر، الخوف من عدم العدل في تعدد الزوجات، الخوف من شقاق ونشوز المرأة.

المطلب الأول: الخوف على الذرية:

يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾ ﴿ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٨ – ٩].

"يحذر الله تعالى الأوصياء من ظلم اليتامى الذين جعلهم الله تحت أيديهم ويقول لهم: إنكم تخافون على أولادكم أن يظلمهم أحد إذا فارقتم الدنيا وخلفتموهم وراء ظهوركم وهم صغار، وإذا كنتم تخافون على أولادكم أن يظلمهم أحد، فاتقوا الله في اليتامى، وعاملوهم بالعدل والإحسان، وقوموا سلوكهم وتصرفاتهم بما يصلح شأنهم في دنياهم وآخرتهم حتى تأمنوا على القول الذي يرشدهم إلى محاسن الآداب وكريم الأخلاق".[١]

"فجعل كافل اليتيم إنّما يعمل حتى فيما بعد لو ترك ذرية ضعافًا وعبّر هنا عن الأيتام يلازمهم –وهو الضعّف– إبرازًا لحاجة اليتيم إلى الإحسان تحت أيديهم كما يحبون أن يعامل غيرهم أيتامهم من بعدهم، وهكذا تضع الآية أمامنا تكافلًا اجتماعيًا في كفالة اليتيم، بل إن اليتيم نفسه فإنّه يتيم اليوم ورجل الغد، فكما تحسن إليه يحسن هو إلى أبنائك من بعدك، كما تدين تدان، فإن كان خيرًا كان الخير بالخير، والبادئ أكرم، وإن شرًّا كان بمثله، والبادئ أظلم".[٢]

يقول سيد قطب –رحمه الله–:

"وقد وردت في هذه الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ روايات شتى عن السلّف"، ما بين قولهم: إنّها منسوخة نسختها آيات الميراث المحددة للأنصبة، وقولهم: إنّها محكمة، وما بين قولهم أنّ مدلولها واجب مفروض، وقولهم: "إنّه مستحب ما طابت به أنفس

١ زلط، القصيبي محمود، تفسير آيات الأحكام، طنطا، المجد للثقافة والعلوم، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٨م، ج٢، ص١٨٠٦.
٢ الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان، ج٨، ص٥٦٩.

الورثة، ونحن لا نرى فيها دليلًا للنسخ، ونرى أنها محكمة وواجبة، معتمدين على إطلاق النّص من جهة، وعلى الاتجاه الإسلامي العام في التكافل من جهة أخرى وهي شيء آخر غير أنصبة الورثة المحددة"[1].

يقول صاحب التفسير المنير:

"وأرشدت آية ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ إلى الآتي:- كل من لم يستحق شيئًا إرثًا وحضر القسمة، وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون: يكرم ولا يحرم، إن كان المال كثيرًا وإن كان عطاء من القليل ففيه أجر عظيم، فالآية على هذا القول محكمة كما قال ابن عباس.

وروى ابن عباس: أنّها منسوخة، نسخها قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وقال سعيد بن المسيب: نسختها آية الميراث والوصية، قال القرطبي: والرأي الأول أصح، فإنّها مبينة استحقاق الورثة لنصيبهم، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم".[2]

"وهذا هو الراجح؛ فهو أمر مندوب، قال الحسن: كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء، فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبًا من غير أن يكون فريضة، قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ابن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي بكر -ﷺ- قسّم ميراث أبيه وعائشة -ﷺ- حيّة فلم يدع في الدّار أحدًا إلا أعطاه وتلا هذه الآية.

والقول المعروف: أن يلطفوا لهم القول ويقولوا: خذوا بارك الله عليكم، ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم، ولا يستكثروا ولا يمنّوا عليهم.

كما قال القائل:[3]

---

١ قطب سيد، في ظلال القرآن، م١،ص٥٨٨.

٢ الزحيلي، وهبة، التفسير المتير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق ، دار الفكر ، "ط٩" ٢٠٠٧م /١٤٢٨هـ م٢، ص٦٠١، ٦٠٢

٣ من طرائف أخبار الخوارج قولُ قطري بن الفجاءة المازني لأبي خالد القناني :

أبا خالد إنفر؛ فلست بخالد*** وما جعل الرحمن غدرًا لقاعد

أتزعم أنّ الخارجي على الهدى*** وأنت مقيم بين راضٍ وجاحد

=

لقد زادَ الحياة إلي حُبًّا *** بناتي أنهنّ من الضعاف

أحاذر أن يرينَ البؤس بعدي***وأن يشربنَ زنقًا بعد صافي[1]

المطلب الثاني: الخوف من انقطاع الوريث حامل لواء العلم

الولد سر أبيه، ومن طبيعة الفطرة البشرية أنها ترغب بالولد الذي يحمل اسم الأب وعائلته، ويقوم على رعاية الوالدين في كبرهما، ويكون سند لهما على شدائد الدنيا، وهذا ما يتمناه كل أحد أقام أسرة فسرّ بقائها يكون بالإنجاب، والحالة هذه تؤخذ صفة متقدمة حينما نودّ أن يحمل الأبناء رسالة الآباء والأجداد.

يخبرنا القرآن الكريم قصة سيدنا زكريا –عليه السلام– إذ حلّ به الكبر وامرأته عاقر لا تلد ولم يكن له ولد يحمل من بعده مشكاة العلم وميراث النبوة فالتجأ إلى ربه متينًا داعيًا الله سبحانه وتعالى أن يرزقه بالولد الصالح، يقول سبحانه: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ مريم: ١ – ٧

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله– في تفسير هذه الآيات الكريمة:

"هذا الذي يتلى عليك يا مُحَمَّد هو: ذكر وحديث وخير رحمة ربّك التي هي أجلّ الرحمات بعبده زكريا، والرحمة هنا في طلاقة القدرة الإلهية تتجلى استجابة الله –سبحانه– لدعاء زكريا –عليه السلام– برزقة الولد، والعلة في ذلك دينية محضة، لا يطلبه لمغنم دنيوي، إنّما شفعة بالولد، لأنه لم يأمن القوم من بعده على منهج الله وحمايته من الإفساد، لذلك قوله: (يرثني) هنا لا يفهم منه ميراث المال كما يتصوره البعض؛ لأنّ الأنبياء لا يورثون، كما قال النبي ﷺ : "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة"،[2] وبذلك يخرج النبي من الدنيا

=

فكتب إليه أبو خالد هذه الأبيات انظر، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥١١

١ الزمخشري، محمود جاد الله، الكشاف، ج١، ص٥٠٩

٢ الشوكاني، مُحَمَّد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، تحقيق، سيد إبراهيم، الرياض،دار زمزم ، ١٤١٣هـ،

=

دون أن ينتفع أحد من أقاربه بماله حتى الفقراء منهم) ، فالمسألة مع الأنبياء خالصة كلّها لوجه الله تعالى؛ لذلك قال بعدها ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ مريم: ٦، أي: النبوة التي تناقلوها، فلا يستقيم هنا أبدًا أن نفهم الميراث على أنّه ميراث المال أو متاع الدنيا الفاني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]، ففي أي شيء ورثه؟ أورثه في تركته؟ إذن: فما موقف أخوته الباقين؟ لابدّ أنّه ورثه في النبوة والملك بعيدة كل البعد عن الميراث المادي".[١]

﴿وإني خفتُ الموالي﴾ الأقارب وبني العم والعصبية ﴿من ورائي﴾ من بعدي ألاّ يحسنوا الخلافة في دينك، وكانت امرأي فيما مضى من الزمان ﴿عاقرا﴾ لم تلد، ﴿فهب لي من لدنك وليّا﴾ ابناً صالحًا يرثني ويرث آل يعقوب: العلم والنبوة "واجعله رب رضيًا: أي مرضيًا، فاستجاب الله دعاءه" [٢]

يقول سيد قطب في هذا السياق أيضًا: "فإذا أصوّر حاله، وقدّم رجاءه، ذكر ما يخشاه، وعرض ما يطلبه، لأنه يخشى من بعده، ألاّ يقوموا على تراثه بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها وهو أحد أنبياء بني إسرائيل البارزين –وأهله الذين راعاهم– ومنهم مريم التي كان قيّما عليها وهي تخدم المحراب الذي يتولاه، وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كلّه، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته، قيل لأنه يعهدهم غير صالحين للقيام على ذلك التراث"[٣].

المطلب الثالث: الخشية من الفقر

المال عصب الحياة، والمال ما تميل إليه الطبيعة البشرية، والرزق يقلق النّفس من أجله، كيف لا فمتطلبات الحياة ولوازمها كثيرة، فالطعام والشراب والمسكن والملبس والتعليم

=

ج٣، ص٤٥٦، خلاصة حكم الحديث ثابت.

١ الشعراوي، مُحَمَّد متولي، تفسير الشعراوي، م١٥،ص٩٠١٩-٩٠٢٥، بتصرف بسيط.

٢ الواحدي، التفسير، ج٢، ص٦٧٦.

٣ قطب، سيد، في ظلال القرآن، م٤، ص٢٣٠٢.

والصحة وعدد من الرفاهية الملحة متطلبات تحتاج إلى المال فما السبيل إذن للتعامل مع هذه القضية؟

القرآن الكريم طلب منّا أن نأخذ بالأسباب والهجرة في الأرض إذا ضاقت بنا السبل يقول –سبحانه–: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، روى ابن عباس أن قوله –سبحانه–: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ يقول: امشوا في أطرافها، وعن قتادة أن بشير بن كعب لعدوي: قرأ هذه الآية: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجاريته إن أخبرتني ما مناكبها فأنت حرّة، فقالت: نواحيها؛ فأراد أن يتزوّجها، فسأل أبا الدرداء، فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشرّ في ريبة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.[١]

"والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان إنّك كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفًا من أن تقع في المشقة والمحنة في السّفر فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك من النّعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير شيئًا لرغم أنوف أعدائك، ويكون سببًا لسعة عيشك، وإنّما قدم في الآية ذكر رغم الأعداء على ذكر سعة العيش؛ لأنّ ابتهاج الإنسان الذي يهاجر عن أهله وبلده بسبب شدة ظلمهم عليه بدولته من حيث إنها تصير سببًا لرغم أنوف الأعداء لأشدّ من ابتهاجه بتلك الدولة من حيث أنها صارت سببًا لسعة العيش عليه".[٢]

"ويقرر القرآن الكريم أن الرزق مضمون ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]؛ لذا حرم قتل الأطفال مخافة الفقر، وهذا ما كان شائعًا في الجاهلية يقول –سبحانه–: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ﴾ ﴿إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الإسراء: ٣١]، ولا تقتلوا أولادكم من الرزق.[٣]

"إملاق" من ابتل بالفقر وقوله سبحانه: ﴿إِمۡلَٰقٖ﴾ من لا فقر له ولكن يخشى وقوعه في المستقبل، ولهذا قدّم رزقهم: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ وقدّم رزق أولادهم في مقام الخشية في:

١ الطبري، ابن جرير، تفسر الطبري، ج٢٩، ص٧

٢ الرازي، التفسير الكبير، ج١١،ص١٣.

٣ الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ج٨، ص٥٤

﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ وهو كلام حسن"[1].

عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه؛ فنظر إلى يديها، فقال لها: اذهبي؛ فغيري يديك، قال: فذهبت، فغيرتها بحناء ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي، ولا تزني، قالت: أوتزني الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن خشية إملاق، قالت: وهل: تركت لنا أولادًا نقتلهم؟ قال: فبايعته، ثم قالت له وعليها سواران من ذهب: ما تقول في هذين السوارين؟ قال: جمرتان من جمر جهنم.[2]

المطلب الرابع: الخوف والأسرة

المسألة الأولى: الخوف والحياة الزوجية:

يقول سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣].

"بيّن الله للناس أنّهم إن خافوا عدم العدل في نكاح اليتيمات، فالنساء غيرهن كثيرات فتزوجوا مثنى وثلاث ورباع من غيرهن، والخوف من عدم العدل في نكاح اليتيمات له نواح متعددة فقد يخاف أحد أن يظلم اليتيمة في مهرها، أو يخاف أن يأخذ مالها ظلمًا بعد زواجها أو يخاف أن لا يحسن عشرتها لأنه لم يعد لها أحد يحميها، وقد يكون هذا الخوف من الأوصياء أو من غيرهم، والخوف: بمعنى الظن يعني من غلب على ظنه التقصير في العدل في اليتيمة فيتركها وينكح غيرها".[3]

"وعن عائشة -رضي الله عنها- أنه كان الرجل تكون عنده اليتيمة في حجره، فإن كانت جميلة؛ تزوجها من غير أن يقسط في صداقها، وإن كانت دميمة رغب عن نكاحها وعضلها أن

---

١ زلط، القصيبي، تفسير آيات الأحكام، م٢، ص١٧١.

٢ابن الملقن، عمر بن علي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيظ وآخرون، السعودية، دار الهجرة ، "ط١" ١٤٢٥هـ، ج٨، ص٥٩٣، خلاصة حكم المحدث، في إسناده نسوة لا يعرفن.

٣ الشنتقيطي، أضواء البيان، ج١، ص٢٢١.

تنكح غيره: لئلا يشاركه في مالها، فنهُوا أن ينكحوهنَّ إلا أن يقسطوا إليهن ويبلغوا بهن أعلى سُنَّتهن في الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهنَّ". قال ابن خويز منداد: يؤخذ من هذه الآية جواز اشتراء الوصي وبيعه من مال اليتيم لنفسه بغير عاباة وللسلطان النّظر فيما وقع من ذلك".[1]

المسألة الثانية: نشوز الزوجة:

يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا﴾ ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٤-٣٥].

قال ابن عباس: "(خفتم) أي علمتم، قال: وهذا بخلاف قوله: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ فإن ذلك محمول على الظن، والفرق بين الموضعين أن في الابتداء يظهر له أمارات النشوز، فعند ذلك يحصل الخوف، وأما بعد الوعظ والهجر والضرب لما أصرت على النشوز، فقد حصل العلم بكونها ناشزة، فوجب حمل الخوف هاهنا على العلم، طعن الزجاج فيه فقال: (خفتم) هاهنا بمعنى أيقنتم خطأ، فإنا لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم نحتج إلى الحكمين.

وأجاب سائر المفسرين بأن وجود الشقاق، وإن كان معلومًا، إلا أنا لا نعلم أن ذلك الشقاق صدر عن هذا أو عن ذاك، فالحاجة إلى الحكمين لمعرفة هذا المعنى، ويمكن أن يقال: وجود الشقاق في الحال معلوم، ومثل هذا لا يحصل منه خوف، إنما الخوف في أنه هل يبقى ذلك الشقاق أم لا؟ فالفائدة في بعث الحكمين ليست إزالة الشقاق الثابت في الحال، فإن ذلك محال، بل الفائدة إزالة ذلك الشقاق في المستقبل".[2]

جاء رجل وامرأة إلى علي ومع كل واحد منهما فئام من النّاس فأولهم علي فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ثمّ قال للحكمين تدريان ما عليكما إن رأيتما أن تجمعا، وإن تفرقا أن تفرقًا، قالت المرأة: رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي، وقال الرّجل: أمّا الفرقة فلا،

١ المرجع نفسه، ج١، ص٢٢١.
٢ الرازي، التفسير الكبير، ج١٠، ص٧٥.

فقال علي: كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت.[1]

المبحث الرابع: سيدنا موسى عليه السلام والخوف نموذجًا:

رحلة سيدنا موسى -عليه السلام- تشكل حلقة متقدمة في الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، فهو واجه أكبر قوة عاتية وطاغية في ذلك الزمان فرعون، فكانت حياته -عليه السلام- حافلة بالخوف والمخاطر، ويمكن أن ندلل على ذلك بأهم المحطات:

المحطة الأولى: خوف أمّه عليه من الموت: يقول سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧.

هذه هي العناية الإلهية والتي في حقيقتها تمثل قمة المكر الإلهي بالمكر الإنساني الشيطاني، هنا الوحي الرباني سواءً أكان عن طريق الإلهام أو بالوساطة، بوضع سيدنا موسى -عليه السلام- رضيعًا في تابوت من خشب ويطفو على النهر، فيأتي إلى قصر فرعون، فتفرح زوج فرعون لهذا الطفل وتشير على زوجها بتربيته، فيتقطع فؤاد أم موسى حزنًا ولا يتسع قلبها خوفًا وفرقًا إلا لوليدها، وتتجلى القدرة الإلهية مرّة أخرى بأن يرفض هذا الطفل الرضاعة سوى من أمّه، فترضعه أمه وتقر عينها وشوقها منه، وهذا هو وعد الله الحق، هذه تفاصيل الأشياء والتي تبدو صغيرة في حياتنا اليومية ولكن الله -سبحانه- هو الفاعل هو المهيمن.

المحطة الثانية: قتله القبطي: يقول سبحانه: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ ﴿ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥-١٦].

هنا تسجل الآيات القرآنية حادثة مؤلمة ومحرجة لسيدنا موسى -عليه السلام- حيث يدخل مدينة في مصر لا نستطيع تحديدها على وجه الخصوص، في وقت فيه الحركة سواء أكان صباحًا أو وقت الظهيرة أو ما بين المغرب والعشاء، فيجد شجارًا ما بين إسرائيلي من

١ السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص٥٢٥.

قومه وبين قبطي فرعوني، فالإسرائيلي بدوره ومن النزعة القومية والقبلية فيطلب الإغاثة والنجدة من سيدنا موسى –عليه السلام– فتأخذه الحمية، فيضرب القبطي فيموت دون أن يقصد قتله، فيطلب من رب العالمين أن يغفر له ويسامحه فيغفر له ويتعهد تائبًا أن لا يعود مرّة أخرى بمثل هذا العمل.

ولعّل دافعًا آخر لنصرة سيدنا موسى –عليه السلام– هو نصرة المظلوم لما حثت عليه الشرائع كلها، وفيه أيضًا قول النبي ﷺ : (انصر أخاك ظالما أو مظلومًا فنصره ظالما كفه عن الظلم).[1]

ونجد سيدنا موسى –عليه السلام– يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] (الظهير: المعين والباء سببية والمعنى بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيرًا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربّه، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف؛ لأنّ قوله "فلن أكون" لا يصلح لجواب القسم، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: وحق نعمتك لأتوبن، فلن أكون ظهيرًا للمجرمين، وقيل: الباء للتحليق أي اعصمني بحق نعمتك علي فلن أكون ظهيرًا للمجرمين ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الفجور)[2].

وتوضيحًا لهذا المبدأ فقد روى عن قتادة في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، قال: إن أعين بعدها ظالما على فجره، وعن عبيد الله بن الوليد الرصافي –رضي الله عنه– أنه سأل عطاء بن أبي رباح عن أخ له كاتب: أليسَ لي من أمور السلطان شيئًا إلاّ أنّه يكتب لهم بقلم ما يدخل، وما يخرج، فإنّ ترك قلمه صار عليه دين واحتجاج، وإن أخذ به كان له فيه غنى قال يكتب لمن قال لخالد بن عبد الله القسري: قال ألم تسمع إلى ما قال العبد الصالح: ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرًا للمجرمين﴾ فلا يهتم بشيء وليرم بقلمه فإن الله سيأتيه برزق"، وعن سلمة بن نبيط –رضي الله عنه– قال: بعث

---

٣٩ البخاري، محمّد بن اسماعيل، الصحيح، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلومًا ، مصر، مكتبة العلوم والحكم، ومكتبة عبد الرحمن ترقيم وترتيب محمّد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٩٠.

٢ ابن العربي، أبو بكر، محمّد، أحكام القرآن، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ج٣، ص٤٩٢.

عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك، فقال اذهب بعطاء أهل نجارى فأعظهم، فقال: اعفني، فلم يترك يستعفيه حتى أعفاه، فقال له بعض أصحابه: ما عليك أن تذهب فتعطيهم، وأنت لا ترزقهم شيئًا، فقال: لا أحبّ أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم".[1]

وفي هذه الظروف تناهى إلى قصر فرعون أمر موسى –عليه السلام– بقتله القبطي، وفي الوقت المناسب يأتي رجلٌ يبدو أنه مقرّب من فرعون ويبلغ سيدنا موسى –عليه السلام– خائفًا فلم يألف هذا الحال المؤلم بعد أن عاش في رفاهية ونعمة ورياسة فألهمه الله –سبحانه وتعالى– الطريق المناسب الذي يسير تجاه مدين فوجد رعاة يسقون شياههم، وهناك امرأتان تكفكفان عنهما عن الرعاة لئلا يؤذيا، فرق لهما قلب موسى –عليه السلام– فسقى لهما، وجلس في ظل شجرة، ولما رجعت المرأتان سريعًا بالغنم إلى أبيهما؛ أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعًا، فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه فعل موسى –عليه السلام– فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيهما، فلما وصل سيدنا شعيب –عليه السلام– طيب خاطره، وقال له: قر عينًا، ولا تخف بعدما قص عليه ما حاله وما جرى له، فتطورت العلاقة بينهما فيرعى الغنم لسيدنا شعيب –عليه السلام– مقابل أن يتزوج إحدى بناته[2].

المحطة الثالثة: تكليف سيدنا موسى –عليه السلام– بالرسالة:

يقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٧–٨].

يقول تعالى لرسوله ﷺ : مذكرًا ما كان من رحلة العودة لموسى –عليه السلام– وأهله وما حدث له من تكليف للنبوة فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي حين سار موسى بأهله فضل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور نارًا، أي: رأى نارًا تتأجج وتضطرم؛ فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي عن طريق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

١ السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ص٣٩٧.
٢ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٨٥–٣٩٧ بتصرف.

تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئون به، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم واقتبس منها نورًا عظيمًا، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذْ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال ابن عباس وغيره لم تكن نارًا وإنما كانت نورًا يتوهج، ومن حولها، قال ابن عباس: أي الملائكة، وقال كذلك عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة فاعلمه -سبحانه- أنّ الذي يخاطبه ويناجيه هو رب العالمين، ثم أمره -سبحانه- أن يلقي عصاه من يده ليصير دليلًا واضحًا على أنه الفاعل المختار، فلما ألقى موسى العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر مع ذلك، فلما كان موسى ذلك لم يلتفت من شدة فزعه وخوفه فالله -سبحانه وتعالى- خاطبه أن لا تخف، فإني أريد أن اصطفيك رسولًا وأجعلك نبيًا وجيهًا."[1]

١ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣، ص٣٥٧، بتصرف بسيط.

أهم النتائج

أولًا: الخوف من الانفعالات البشرية التي تتطلب منا النظرة المتوازنة.

ثانيًا: هناك فرق بين الخوف والقلق كما يقرر علم النّفس.

ثالثًا: معنى الخوف في المفهوم القرآني يراعي فيه السياق.

رابعًا: الخوف من الله -سبحانه- وتعالى يقود المسلم إلى الاستهانة بكل مؤثرات الخوف التي نواجهها في الحياة الدنيا.

خامسًا: الاستجابة المتوازنة والمسؤولة للخوف تقود الإنسان إلى التعامل بإيجابية مع الآخرين.

سادسًا: الحكمة في إدارة العلاقات الزوجية سر نجاحها تقدير الموقف مع الشريك الآخر على ضوء التوجهات القرآنية.

سابعًا: الأنبياء -عليهم السلام- النموذج الذي يقتدى به في التكيف مع انفعالات الخوف.

التوصيات:

أولًا: العمل على تأصيل الدراسات النفسية من خلال التصور القرآني قدر ما أمكن.

ثانيًا: العمل على ربط الدراسات القرآنية بالواقع المعاصر.

ثالثًا: رفد المكتبات العامة والخاصة بالدراسات القرآنية المتخصصة.

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر البحثية:

١. ابن العربي، أبو بكر، مُحَمَّد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق مُحَمَّد عبد، لبنان، دار الفكر.

٢. ابن الملقن، عمر بن علي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيظ وآخرون السعودية، دار الهجرة.

٣. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، حجة القراءات، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٤. ابن فارس، أبو الحسن، أحمد، "١٤٢٠هـ/١٩٩٩"، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون "ط٢١" بيروت، دار الجيل.

٥. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، "ط١"، بيروت، دار صادر.

٦. الأبرص، عبيد، "١٤١٤هـ/١٩٩٤" ديوان عبيد بن الأبرص، "ط١" شرح أحمد عدته، بيروت، دار الكتاب العربي.

٧. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت ، دار الفكر.

٨. الألباني، مُحَمَّد ناصر، "١٤٢١هـ" صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، "ط١" مكتبة المعارف

٩. الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠. البخاري، مُحَمَّد إسماعيل، "١٤٠٧هـ" الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، ط٣، بيروت، دار ابن كثير – اليمامة

١١. الدامغاني، أبو عبد الله، الحسين بن مُحَمَّد، "٢٠٠٣" الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق عربي عبد الحميد، "ط١" بيروت، دار الكتب العلمية.

١٢. الرازي، مُحَمَّد بن أبي بكرة ،"١٣٩٩هـ/١٩٧٩م" مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان.

١٣. الزحيلي، وهبة، "٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ" التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، "ط٩" دمشق، دار الفكر.

١٤. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، "١٣٩٩هـ/١٩٧٩م" أساس البلاغة، دار الفكر.

١٥. السيوطي، عبد الرحمن ، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر.

١٦. الشعراوي، مُحَمَّد متولي، تفسير الشعراوي.

١٧. الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين، "١٤١٥هـ/١٩٩٥م" أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت ، دار الفكر.

١٨. الشوكاني، مُحَمَّد بن علي، "١٤١٣هـ"، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية، تحقيق: سيد إبراهيم ،الرياض، دار زمزم.

١٩. الطبري، مُحَمَّد بن جرير، "١٤٠٥هـ" جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر.

٢٠. الغزالي، أبو حامد، "١٤١٢هـ/١٩٩٢م" إحياء علوم الدين، تحقيق: زين الدين العراقي، "ط١" بيروت، دار الكتب العلمية.

٢١. ابن زلط، القصيبي، محمود، "١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م" تفسير آيات الأحكام، طنطا، المجد للثقافة والعلوم.

٢٢. قطب، سيد، "١٩٩٨" في ظلال القرآن، ط١، القاهرة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ط١.

٢٣. ماركس، ايزاك "١٩٩٩م "، التعايش مع الخوف، القاهرة، دار الشروق، إشراف د. عثمان نجاتي.

٢٤. http//www.al-jazirah.c.